المزارات في مدينة الخرطوم
دراسة توثيقية

د. هبة عثمان عبد الكريم محمد

باحثة مستقلة

المستخلص

جاءت هذه الورقة العلمية تحت عنوان المزارات التاريخية في مدينة الخرطوم، بوصفها دراسة توثيقية للمباني التي تشكل في مجموعها التراث المعماري لمنطقة الخرطوم القديمة، وتحمل قيماً تاريخية، اكتسبتها إما من خلال طرازها المعماري أو ارتباطها بأحداث مهمة، وربما تكون تلك الأحداث دينية أو اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية ؛ مما يجعلنا بحاجة إلى معرفة الكثير عن المعلومات المتعلقة بها. وبناءً على المنهج التاريخي الوصفي، الذي اعتمد على المراجع والمصادر والعمل الميداني، تمت كتابة هذه الورقة العلمية، لتسليط الضوء على المباني التاريخية في مدينة الخرطوم القديمة والتي تعدُّ نموذجاً للعمارة الإسلامية في السودان، مع إمكانية جعل هذه المباني مزارات، والحفاظ عليها، وترميمها وصيانتها، والاستفادة منها في الاقتصاد، والسياحة، والتعليم، وحفظ الموروث المادي، وتحقيق الوحدة والسلام..

الكلمات المفتاحية: المزارات، التاريخية، الخرطوم، المباني، الآثار.

Abstract

This paper comes under the title historical shrines in Khartoum city as a documenting study for buildings that make architectural heritage for Khartoum old area and take its valuable history that which it gets for its architectural style. or its associated with religion or economics. or social policy events that lead us to get knowledge about the information associated with it. According to historical method descriptive which depend on references scientific and resources and field work. this paper was written to highlight for the history building in Khartoum old area which its example for Islamic architectural in Sudan and the ability to make these buildings shrines and keep them and restoration maintenance them so as to make use of it in the economic, tourism, and education and to keep physical inheritance and to have unity and peace.

Keywords: Attractions, Historical. Khartoum, Buildings, Archaeology

مقدمة:

علم إدارة المواقع الأثرية والتاريخية هو العلم الذي يهدف إلى الحفاظ على المصادر التراثية الثقافية وتوظيفها بما يحافظ عليها (أولاً) والاستفادة منها اقتصاديا (ثانياً) عن طريق التخطيط السليم للتنمية المستدامة وبالإدارة المنتجة لتلك المصادر. تهدف إدارة المواقع الأثرية أو إدارة مواقع التراث الثقافي إلى استدامة المواقع الأثرية (محمد البدري ، 2022 م، ص123). وقد نشأ علم إدارة المواقع الأثرية والتاريخية Site Management وتطور في بعض الدول الأوروبية مثل ايطاليا وفرنسا وبريطانيا عندما شعر بعض المفكرين في تلك البلاد بأهمية الحفاظ على تراثهم، حين تعرض للدمار، بسبب العوامل الطبيعية والأخطار البشرية. وعندما ساد مفهوم ملكية التراث الثقافي للبشرية زاد التركيز على المطالبة بالحفاظ عليه وتدخلت في هذا المجال مؤسسات علمية مثل اليونسكو (UNESCO) التي تم تأسيسها عام 1945م. ونشأت مؤسسات محليه في كل قطر. وفي ظل التطور العقاري في مدينة الخرطوم، وللحد من إزالة المباني التاريخية، شكلت الهيئة العامة للآثار والمتاحف لجنة لحصر وحماية مباني الخرطوم البالغة من العمر مائة عاماً، وقد تم تكوين اللجنة في عام 2015م. ومن المباني التي شملها الحصر (مباني الوزارات والمباني الحكومية، بالإضافة لبعض المدافن والمرافق العامة).

تاريخ مدينة الخرطوم:

في بداية الحكم التركي في السودان اتخذ المستعمرون من سنار عاصمة لهم، ثم تم تحويل العاصمة إلى مدينة ود مدني وفي عهد عثمان بك جركس (1924-1925م) ثم تم تحويل العاصمة إلى الخرطوم (نعوم شقير، 1981م، 212). كانت الخرطوم قبل مجيء الحكم التركي عبارة عن منطقة صغيرة للصيادين، بيوتها مبنية من الطين والقش، وجلد البقر وعيدان الشجر، وكانت شوارعها عبارة عن ممرات ضيقة.(خوجلي أحمد، 1987م، 49). وكانت المباني الحكومية والثكنات تمتد على ضفة النيل، حيث نجد السراي و مباني الحكمدارية والمديرية، ومصلحة الصحة، وإدارة المالية والبوستة (أحمد أحمد، 2000م، 133). أما المديرية فقد بنيت ببقايا طوب سوبا، وسمي الحي الذي توجد فيه بحي المباني الحكومية، وعند الطرف الغربي من ذلك الحي توجد منازل موظفي الإدارة، وعرفت تلك المنطقة في عهد خورشيد بمحل موسى بك، وإلى الغرب من تلك المنطقة نجد الجامع وحوله تم بناء السوق (أحمد أحمد، 2000، ص107).

في عام 1855م ظهر نظام البناء من طابقين وهو خاص بطبقة الأثرياء، كما تم تزيين تلك المباني بالشرفات الجميلة، والاستعانة ببوابين لحراسة تلك المنازل. وتتميز تلك المباني بالغرف الواسعة والأسقف

المرتفعة ودورات المياه والمخازن والمطابخ، والفناء الواسع، الذي غالباً ما توجد فيه حديقة. أما منازل الطبقة الفقيرة فهي ضيقة المساحة والغرف والفناء (أحمد أحمد، 2000م، م117- 118).

ولما جاء الحكمدار خورشيد باشا حكمداراً عليها (1826- 1838م) اهتم بنهضتها العمرانية، كما امتدت الخرطوم على طول ضفة النيل، فبنى سراي الحكومة بالطوب الأحمر من طابقين، وسراي مدينة الخرطوم، كما شيد الجامع الكبير بالطوب الأحمر، وبنى ثكنات الجيش، وشجع الأهالي على بناء بيوتهم من الطوب اللبن وأمدتهم الحكومة بأخشاب البناء.واستمرت الخرطوم تنمو وترتفع مكانتها الحكومية والتجارية والعمرانية، فبنيت دور الصناعة، ومعمل النجارة وورشة لبناء السفن، وأخذ عدد سكانها يزداد حتى قدر بما يقرب من الثلاثين ألف نسمة (مكي شبيكة، 1991م، 127). وفي عهد عباس باشا فتحت أول مدرسة نظامية في الخرطوم سنة 1853م، وعين رفاعة الطهطاوي مديراً لها. ثم أغلقت هذه المدرسة في سنة 1855م، لأن إنشاءها لم يكن بهدف خدمة التعليم، إلا أنه كان لقيام هذه المدرسة بعض الأثر في نشر المعرفة في الخرطوم (ضرار صالح، 1968م، 21).

فالمباني التي شيدت على طول النيل في العهد الاستعماري بنيت على الطراز البريطاني واستخدم في بنائها الحجر الجيري والآجر الأحمر في صناعتها. وقد أحضر إليها المهندسين من بريطانيا. وكانت بداخل هذه المباني حدائق صغيرة فيها أشجار وفواكه مثل الجوافة- الليمون- المانجو- البرتقال.(عثمان حمد الله، 1949م، ص121). وتستمد الحدائق المياه عن طريق السواقي التي شيدت على طول الضفة، وترفع المياه عن طريق قنوات مكشوفة وضيقة، أما في فصول انخفاض مياه النيل يتم رفع المياه بالاستعانة بساقيتين بدلاً عن ساقية واحدة، أو باستخدام شادوف أو أكثر (أحمد أحمد، 2000م، 151). ونجد كثيرا من مباني الخرطوم تتبع لأوقاف الكنائس مثل: كنيسة القصر الجمهوري، وكنيسة كمبوني وتتبعان للكنيسة الرومانية المقدسة، وكنيسة الأسقفية البريطانية في نهاية شارع النيل، والكنيسة الكاثوليكية التي بجوار شارع المطار (فيصل محمد موسى، مقابلة شخصية، ٢٠٢٢/٧/٢١م). أما المباني اليهودية في الخرطوم فقد كانت معظم مباني السوق الافرنجي بالخرطوم تتبع لأسر يهودية، وهناك مقبرتان لليهود، الأولى بالمنطقة الصناعية جنوب شرق الخور، والمقبرة الثانية شمال محطة السكة حديد الخرطوم، تم تبديل نسبتها للأوقاف. وتم تحويل رفات بعض زعماء اليهود إلى إسرائيل في عهد الإنقاذ.

وهنالك مباني كانت تتبع للجالية اليهودية في الخرطوم مثل منزل الحاخام شاؤول حاخام اليهود لكل إفريقيا، وتبلغ مساحة منزله حوالي ٤ أفدنة، وحولت فيما بعد إلى النادي اليهودي، الذي كانت تمارس فيه الجالية اليهودية مناشطها، وكان بداخله حمام سباحة، وفي عهد نميري بنى مباني الإتحاد الاشتراكي في هذه

المساحة بعد أن أخذ الموافقة من أسرة شاؤول. وفي عهد الإنقاذ بنيت مباني وزارة الخارجية في الجزء الجنوبي منه، بدون أخذ موافقة الأسرة.

كما توجد في الخرطوم مباني تابعة لدائرة المهدي، مثل مباني مستشفى الصدر فهو مكان يخص أسرة الإمام المهدي حيث كان يسكن والده هناك. وفي الشمال توجد مقبرة لبعض أفراد أسرة المهدي وفيها والدة الإمام المهدي. وقد تبرع السيد عبد الرحمن المهدي إلى الرئيس عبود بالمساحة التي شيدت فيها المستشفى، ولازالت ملكية هذه المباني تتبع لدائرة المهدي (فيصل محمد موسى، مقابلة شخصية، ٢٠٢٢/٧/٢١م).

طرق الخرطوم:

- الطريق الممتد من مشرع أرباب يعد من أول الطرق التي تدخل المدينة من ناحية الغرب، وهو خاص بأهل توتي، والمؤدي إلى جامع أرباب، والسوق قبل الحكم التركي المصري.
- ويقع في الشرق من هذا الطريق مشرع التبيداب، وسمي بهذا الاسم نسبة لجماعة التبيداب، الذين سكنوا في حي الترس، وتوجد محلاتهم في سوق الخرطوم، وقد اشتهر التبيداب بصياغة الذهب والفضة، فكانوا يستخدمون هذا الطريق لإيصالهم للسوق.
- وفي الشرق من مشرع التبيداب نجد مشرع القاضي، ويعد من أكثر الطرق التي يستخدمها أهل توتي إلى سوق الخرطوم والجامع.
- وفي الشرق من هذا الطريق نجد مشرع موسى بك، وهو أول طريق أنشأته الإدارة التركية المصرية في المدينة في عهد خورشيد باشا، ويمتد من النيل الأزرق إلى الثكنة القديمة (أحمد أحمد، 2000م، 122).
- وفي الشرق من الطريق السابق مشرع الشونة الذي يصل بين ضفة النيل ومخازن الحكومة.
- طريق مشرع المديرية، وهو يمر بين مبنى الحكمدارية والسراي إلى ميدان المديرية.
- مشرع المستشفى، وهو طريق أهالي بر حلفايا إلى الخرطوم بعد أن يعبروا النيل، كما هو الطريق الذي يوصل بين ضفة النيل الأزرق وحلة المراكبين، وطريق عمال دار الصناعة.

وفي عهد الحكمدار جعفر مظهر تم إنشاء رصيف للمدينة، وذلك بسبب فيضانات النيل المتكررة (أحمد أحمد، 2000م، 123-126).

السوق الأفرنجي:

يعد السوق الأفرنجي من أقدم الأسواق في مدينة الخرطوم، ويقع في قلب الخرطوم يحده من الناحية الشمالية شارع الجمهورية، ومن الناحية الجنوبية ميدان أبو جنزير، ومن الناحية الشرقية صينية سان جيمس سابقاً، ومن الناحية الغربية المحطة الوسطى (ميدان جمال عبد الناصر) (فيصل موسى، مقابلة شخصية، ٢٠٢٢/٧/٢١م). العملة المتداولة في سوق الخرطوم هي نفس العملة في مصر، وهي مضروبة في مصر وفرنسا والنمسا وانجلترا، أما الموازين المستخدمة في البيع فهي القنطار والأُقَّة والرطل، ووحدة المكاييل هي الأردب، ووحدة القياس هي الذراع، وهي نفس الموازين والمقاييس المستخدمة في مصر (أحمد أحمد، 2000م، 156).

قصر الحكمدارية (السراي)

الحكمدار لقب يطلق على حاكم السودان في فترة الحكم التركي المصري في السودان، وكلمة سراي في اللغة التركية تعني قصر. شرع في بناء القصر في عام(1825-1826م) في عهد محو بك. يقع القصر على الضفة الجنوبية للنيل الأزرق، بالقرب من ملتقى النيلين الأزرق والأبيض. وتم بناؤه من الطين اللبن، على شكل مستطيل، خصصه سكنا له ومقراً لإدارة حكم السودان. وفي عهد الحكمدار خورشيد باشا (1826-1838م) أدخلت بعض الإضافات للمبنى، إذ تمت إضافة مبنى المديرية وهو عبارة عن مبنى ضخم تم بناؤه ببقايا طوب سوبا، وكان مدخل المديرية الرئيسي يواجه النيل، بالإضافة لأبواب جانبية من جهتي الشرق والغرب، تؤدي لميدانين صغيرين. وفي الجزء المواجه للنهر يوجد صالة استقبال جميلة وواسعة، وهي الديوان الرسمي لحاكم الخرطوم. وتوجد في المديرية عدد من المكاتب والحمامات الملحقة بها، كما يوجد بها إسطبل للخيول وهو خاص بسلاح الفرسان والمدفعية. ويقع أمام مبنى المديرية من جهة المدينة، ميدان يسمى بميدان المديرية، ونقل إليها دواوين إدارة الدولة ومصالحها (خوجلي أحمد، 1987م، م22-49). وفي عهد الحكمدار عبد اللطيف باشا (1849-1851م) تم هدم السراي المبني من الطين اللبن وتمت إعادة بنائه من الطوب الآجر المنقول من مدينة سوبا الأثرية، وبعض مباني أبي حراز في الضفة الشرقية للنيل الأزرق، كما تم استخدام الحجر الرملي (نعوم شقير، 1981م، 224). وفي عهد غوردون باشا عام 1884م تكون المبنى الجديد من طابقين، وتمت إحاطة السراي بحديقة بها أنواع مختلفة من الأشجار (عبد الله حسين، 2013م، 175). وبعد سقوط الحكم التركي في السودان، وفي فترة الدولة المهدية (1885-1898م)، تحولت العاصمة إلى مدينة أم درمان، وفي عهد الخليفة عبد الله التعايشي تم بناء بيت الخليفة مقراً للحكم (والذي تم استخدامه لاحقاً متحفا) ويسمى حالياً بمتحف بيت الخليفة (نعمات عمر، 2014م، م56).

وفي فترة الحكم الإنجليزي المصري في السودان (1898-1955م) وفي عهد كتشنر تم إرجاع العاصمة إلى الخرطوم، وتمت إعادة بناء القصر في عام 1898م، وتم بناؤه على الأساس الحجري القديم تخفيضاً للنفقات. وفي عام 1900م اكتمل بناء جزء كبير من القصر ، وفي عهد السير ريجنالد ونجت عام 1906م، اكتمل بناء القصر وملحقاته (أبو سليم، 1979م، 146). ويمثل القصر حالياً مقراً لإدارة حكم دولة السودان، ويسمى بالقصر الجمهوري (لوحة رقم 1).

لوحة رقم (1) تبين القصر الجمهوري بالسودان (ar.m.wikipedia.org)

أبو جنزير

يعد هذا الميدان من أشهر ميادين الخرطوم. يقع الميدان في وسط الخرطوم، وفي هذا الميدان كانت مقبرة الخرطوم الكبرى، وكان طرفها الغربي يقع إلى الغرب من شارع القصر، وفي طرفها الشمالي الشرقي مقبرة الحكام، وكان امتدادها شرقاً يسع النادي العربي وسينما كليزيوم. وقد سمي الميدان بأبي جنزير نسبة للشيخ إمام بن محمد وهو محسي الأصل فقد كانت مقبرته في منتصف شارع القصر، وعند توسعة شارع القصر التي قام بها استانتن حمل رفات شيخ إمام من مرقده وتم دفنه على طرف الشارع وإحاطة قبره الجديد بالجنازير (أبو سليم، 1979م، 184-185).

وقد تحدثت بعض الصحف السودانية عن ميدان أبو جنزير مثل صحيفة الانتباهة، وذلك من خلال مقابلة شخصية مع الأستاذ محمد السيد حسن أحد أحفاد الشيخ أبو جنزير، وذكر أن الشيخ إمام بن محمد كان فقيهاً، وكان يكتب المصاحف، ولديه خلوة بها ألف تلميذ. وقال أن المقبرة لم تكن ضريحاً لأبي جنزير فقط، بل كانت مقبرة أهل توتي، كما وجدت فيها آثار للدفن على الطريقة المسيحية، وآخرين مدفونين على الطريقة اليهودية، مما يدل على أنها مقبرة قديمة (سارة إبراهيم عباس، صحيفة الإنتباهة،

2013/1/11م). وتوجد في هذه المقبرة قباب الأتراك ويعود عهدها إلى فترة الحكم التركي المصري في السودان(1821-1881م) وعدد هذه القباب قبتين لوحة رقم (2)، القبة الشرقية ودفن فيها أحمد باشا جركس المعروف ب(أبو ودان) المتوفى عام 1841م.أما القبة الغربية فدفن فيها موسى باشا حمدي، المتوفى عام 1865م، وتضم أيضاً رفات أحد أفراد عائلته. أما في صحن المقبرة فيوجد قبر محمد ممتاز باشا الذي حكم بين (1871-1873م)، وكذلك يضم هذا الفناء ألماظ باشا، وآدم باشا العريفي، وهو ضابط سوداني من ضباط الجيش المصري، وإبراهيم بك مرزوق، وهو كاتب مصري، وآخرين (انتصار صغيرون، 2003م، 99).

لوحة رقم (2) تبين قباب الأتراك بالخرطوم (تصوير الباحثة، في فبراير 2016م)

مسجد الخرطوم العتيق

مسجد الخرطوم الكبير، وكان يسمى سابقاً بمسجد عباس نسبة للخديوي عباس باشا حلمي، تم افتتاح المسجد في عام 1901م، عند زيارة الخديوي عباس باشا حلمي للسودان، يقع المسجد في وسط ميدان أبو جنزير، ومن ناحية الشرق نجد مقابر الأتراك، ومن ناحية الشمال قصر الحكمدارية (السراي)، وفي الاتجاه الغربي نجد المنطقة السكنية، وفي الاتجاه الجنوبي نجد السوق. موقع المسجد بالنسبة للمنطقة يمثل نوعاً من أنواع العمارة الإسلامية، وهي العمارة الدينية وذلك من خلال موقعه الوسط وإحاطته بالمباني والمقابر والمرافق العامة كالأسواق.

وصف المبنى:

تم بناؤه من الحجر الرملي، واستخدم الملاط لربط الحجر، واستخدم بعض من الطوب الأحمر والأسود المحروق في الواجهات حليةً في البناء. واستخدم الخشب في بناء الأسقف، واستخدم الحديد بصورة قليلة حواجز في الشبابيك (صلاح عمر، 2014م، 22-23-26).

بني المسجد على شكل مربع، وهي خاصية مشابهة للمساجد الإسلامية المبكرة، تتسع مساحة المسجد لعدد 10 آلاف من المصلين، يتكون المسجد من ثلاثة أبواب من الخشب، مستطيلة الشكل تنتهي من الأعلى بأقواس مزخرفة بشكل الأصداف. توجد بالمسجد مجموعة من الشبابيك الخشبية مستطيلة الشكل، مزخرفة بشكل السبحة، تعلوها أربعة مناور مستطيلة، ومنشور زجاجي دائري. تعلو المسجد مئذنتان إحداهما في الناحية الشمالية الغربية، والأخرى في الناحية الجنوبية الغربية.

تم استخدام عدد من الزخارف والخطوط في المبنى كالخط العربي، والذي كتبت به الآيات القرآنية التي تم نحتها على الجسم الخارجي من المسجد، كما استخدم في المئذنة الخط الديواني، أما الزخارف فنجد الزخرفة الهندسية والنباتية (لوحة رقم 3).

ومن الإضافات الحالية التي ألحقت بالمبنى ساحة الإمام مالك لتدريس العلوم، أماكن للوضوء، بالإضافة للحمامات الخارجية.، كما نجد مبنى معرض الزي المحتشم في الجزء الشرقي، ومكتبة لبيع الكتب في الجزء الجنوبي من المسجد.وتم بناؤها بمواد تختلف عن مواد بناء المسجد مما يؤثر في الشكل التاريخي للمبنى (صلاح عمر، 2014م، 25، 27).

لوحة رقم (3) تبين مسجد الخرطوم الكبير (تصوير الباحثة فبراير 2016م)

جامعة الخرطوم

يعود الفضل في إنشاء جامعة الخرطوم إلى اللورد كتشنر الذي أراد أن يأسسها تخليداً لذكرى الجنرال غردون. فمنذ عام 1899م بدأت حكومة الحكم الثنائي بفتح بضع مدارس أولية وابتدائية في الخرطوم، وفي عام 1902م تم افتتاح الكلية المسماة بكلية غوردون التذكارية، بالرغم من عدم اكتمال المباني، وقد أريد منها أن تكون مدرسة ثانوية متوسطة وهي نوع خاص من المدارس. كما تم تدريب المهندسين

المساعدين ومساحي الأراضي، والمترجمين، والمحاسبين، وفي عام 1905م تبرع السيد هنري ويلكم للكلية بمختبر مجهز بالكامل للتحليل البكتريولوجي، وفي عام 1924م تطورت الكلية لتصبح مدرسة ثانوية مهنية، كما تم إنشاء مدرسة كتشنر للطب (عبد الله حسين، 2013م، ص562).

وفي عام 1936م كانت بداية التعليم العالي في السودان بإقامة كلية الحقوق، وفي عام 1940م تم افتتاح مدارس الآداب والقانون والزراعة والعلوم البيطرية والعلوم الهندسية.

وفي عام 1945م تم وضع جميع هذه المدارس تحت إدارة جامعة لندن. وفي عام 1951م تم ترقية الكلية لتصبح كلية الخرطوم الجامعية وكان يتم وضع الامتحانات والدرجات من جامعة لندن، وكان يتم منح الطلاب المتميزين درجة البكالريوس من جامعة لندن، ويحصل الباقون على درجة الدبلوم. وبعد استقلال السودان عام 1956م، أقر البرلمان مشروع قانون منح الكلية الوضع الجامعي الكامل في 24يوليو 1956م لتصبح جامعة الخرطوم الحالية، ومن ثم تم التوسع في عدد كلياتها (عبد الله حسين، 2013م، 563) (لوحة رقم 4).

لوحة رقم (4) توضح جامعة الخرطوم (تصوير الباحثة يوليو2022م)

مدرسة الاتحاد الإنجليزية العليا للبنات بالخرطوم

افتتحت عام 1902م، وتقع في قلب الخرطوم. عرفت المدرسة باسم مدرسة الأجناس، وسبب تلك التسمية وجود الطالبات من جنسيات مختلفة، فقد شملت المدرسة عدداً من الطالبات السودانيات، والمصريات، والشاميات، والأرمنيات، والهنديات، واليهوديات.

تتكون المدرسة من عدد من الفصول والغرف، وحوض سباحة ومكتبة (لوحة رقم 5). وهذه المدرسة تمكن طالباتها من الجلوس لامتحان الالتحاق بجامعة كامبردج (عثمان حمد الله، 1949م، 116، 115).

لوحة رقم (5) تبين مدرسة الاتحاد الخرطوم (تصوير الباحثة 2017م)

مبنى وزارة المالية الإتحادية

شرع في بنائه في فترة سبقت عام 1885م، ومن ثم توقفت عملية البناء حتى سقوط الدولة المهدية، وفي عام 1909م تم الانتهاء من بناء المبنى، وفي عام 1953م عرف المبنى بصورته الإضافية بعد أن لحقته إضافة بعض الأجزاء (حيدر حامد، 2003م، 1).

الوصف المعماري للمبنى:

تم بناؤه على هيئة الحرف الإنجليزي (H).استخدم الحجر الرملي في بنائه، وقد شيد على طريقة الحوائط الحاملة، وتم إدخال الطوب المحروق في بناء الحوائط الحاملة، والفواصل الداخلية للمبنى. وأكثر ما يميز المبنى وجود الأقواس والعقودات، ولاحقاً تمت إضافة بعض الأجزاء للمبنى، ففي عام 1957م تم بناء حمامات بالقرب من المبنى الرئيسي، وفي عام 1963م تم تعديل سقوفات البرندة الجنوبية العلوية إلى سقف خرساني، وفي منتصف الستينات تم تقفيل البرندة الشرقية للمبنى. وفي عام 1988م تم تغيير سقف البرندة الغربية على النصف الشمالي لسقف خرساني، وفي عام 1992م تمت بعض التعديلات في الطابق العلوي عند الجزء الجنوبي من الجناح الشرقي للمبنى، وذلك بإدخال نوافذ من الألمونيوم والزجاج المظلل مما أدى إلى تغيير في شكل المبنى، كما تم تعديل سقوفات البرندة الشمالية بعمل سقف من حديد الكمر (صفاء

حسين، 2016م، م50-51). وقد تمت دراسة كاملة لأعمال الترميم من قبل الهيئة العامة للآثار والمتاحف، مما ساعد في عمليات الترميم اللاحقة، حيث وضحت المشاكل الرئيسية للمبنى. وفي عام 2016م تم ترميم المبنى من قبل شركة الدار الاستشارية (لوحة رقم 6) تحت إشراف الهيئة العامة للآثار والمتاحف (صفاء حسين، 2016م، 62).

لوحة رقم (6) توضح مبنى وزارة المالية الاتحادية (صفاء حسين، 2016م، 62)

الكلية القبطية بالخرطوم

افتتحت عام 1911م، ويتكون المبنى من طابقين وحديقة واسعة، وعدد من الفصول لدراسة الطلاب ومعمل لدراسة الطبيعة، علم الأحياء، والكيمياء (لوحة رقم 7).

تعد هذه المدرسة أولى المدارس المصرية التي تسير طبقاً لنظام وزارة المعارف المصرية، وقد أسستها الجمعية القبطية ورئيس مجلس إدارتها يوحنا سلامة، وكانت آنذاك ابتدائية للبنين فقط.

وقد حظيت الكلية بتشجيع كبير من جانب حكومة السودان ومن المصريين والسودانيين والأجانب ثم افتتح قسماً آخر للبنات في عام 1923م، ووصل عدد التلاميذ والتلميذات آنذاك لحوالي 1000 طالب. ولاحقاً تمت إضافة المرحلة الثانوية، وقسم خاص بالعلوم التجارية، ليؤهل التلاميذ لامتحان جامعة أكسفورد، وكان تلاميذ هذه المدرسة يسافرون لمصر لتأدية الامتحان العام، وفيما بعد عملت وزارة المعارف المصرية بإرسال لجان لامتحان التلاميذ بالخرطوم (عثمان حمد الله، 1949م، 108، 109).

لوحة رقم (7) تبين الكلية القبطية (تصوير الباحثة يوليو2022م)

معمل استاك للعلوم الطبية

يقع بالقرب من محطة السكة حديد بالخرطوم، وتقع مدرسة كتشنر الطبية غربه. واستاك هو طبيب بريطاني مشهور اهتم بالنواحي الصحية وإدارة المستشفيات، وأنشأ هذا المعمل لتتم فيه جميع الفحوصات الخاصة بمستشفيات العاصمة والأقاليم، واستمر في هذه المسؤولية حتى الآن، لوحة رقم (8) ولكن هنالك جزءاً من هذا المعمل (المباني الإدارية) أصبحت كلية الطب جامعة الخرطوم (فيصل محمد موسى، مقابلة شخصية، ٢٠٢٢/٧/٢١م).

اكتمل تأسيسه عام1927م، وفي بداية تأسيسه صرف عليه حوالي عشرين ألف جنيه، وله مدير فني ونائبه، بالإضافة لمساعدين بريطانيين عمل بعض منهم في قسم التحليل الميكروسكوبي والفحص، وطبيب سوداني للأشغال الفنية والأعمال الكيميائية (عثمان حمد الله، 1949م، 103، 102).

لوحة رقم (8) توضح معمل استاك (تصوير الباحثة يوليو2022م)

مبنى البريد والبرق

بدأ نقل الرسائل والأشياء المادية في المجتمعات السودانية قديماً باعتبار أنه نشاط فردي، وذلك بواسطة أفراد يوكل إليهم توصيل الرسائل من مكان لآخر أما على الأرجل أو ركوب الدواب (جمال-حمير-خيول) وذلك وفقاً لبعد المسافة (أحمد التيجاني، 1439هـ، 33).

كانت البداية الأولى لخدمات البريد والبرق في السودان في عام 1858م في فترة الحكم التركي، حيث تم افتتاح أول مكتب بريدي في السودان في منطقة سواكن، التي كانت تتبع لتركيا سياسياً وإدارياً، حيث تمت كتابة جميع الطوابع البريدية باللغة التركية.

أما خدمات البرق فقد بدأت في سواكن عام 1859م عن طريق خط التلغراف البحري، وكان أيضاً تحت إدارة تركيا. وفي عام 1866م بدأ التوسع في إدخال خدمات البريد حيث شملت كلًا من شمال السودان، ووادي حلفا، والخرطوم، والأبيض، وكسلا. وكانت مكاتب البرق تدار بواسطة مصريين تحت إشراف الإدارة التركية. أما في فترة المهدية فلم يكن هناك اهتمام بحركة البريد والبرق، مما أدى إلى تقلصها بشكل كبير (أحمد التيجاني، 1439هـ، 34).

وفي فترة الحكم الثنائي (الإنجليزي المصري) في السودان تم التوسع في خدمات البريد، حيث شملت كلاً من الجزيرة، والنيل الأبيض، وكردفان، وشرق السودان. وفي عام 1901م تم دمج البريد الحربي والتلغراف الحربي لتكونا مصلحة البوستة والتلغراف، وفي عام 1910م تم افتتاح عدد من مكاتب البريد والبرق الثابتة، داخل البواخر النيلية والقطارات، كما تم افتتاح الوكالات البريدية الخاصة. وفي عام1919م تم تعديل اسم مصلحة البوستة والتلغراف إلى مصلحة البريد والبرق والهاتف. (أحمد التيجاني، 1439هـ، 35).

الوصف المعماري لمبنى البريد والبرق:

تم بناؤه في عام 1928م على هيئة الحرف الإنجليزي(U) وذلك ليشكل مع مبنى وزارة المالية تاج الملكة فكتوريا. يتكون المبنى من طابقين (لوحة رقم 9)، وتم بناؤه من الحجر الرملي. في عام 2016 م تم ترميمه من قبل شركة عمار الاستشارية، وبإشراف الهيئة العامة للآثار والمتاحف (صفاء حسين، 2016م، 62، 69).

لوحة رقم (9)توضح مبنى البريد والبرق (تصوير الباحثة يوليو2022م)

كلية كمبوني بالخرطوم

تم تأسيسها عام 1929م تقع غرب شارع فيكتوريا، وعند ملتقى شارع 17 و12. وسميت بكمبوني نسبة لكمبوني الذي توفي في الخرطوم عام 1881م. يتكون المبنى من طابقين، تبلغ مساحتها 11000متر مربع.تكونت المدرسة من ميادين للرياضة، وحوض سباحة ومكتبة، وفي وسط المدرسة توجد كنيسة كاثوليكية (عثمان حمد الله، 1949م، 105). وفي عام 1938 م ألحق بالمدرسة عدد من المباني مثل، داخلية الطلاب، وسكن للمساعدين، وستة عشر فصلا دراسيا، بالإضافة لصالة اجتماعات، وقاعة للمحاضرات ومعمل العلوم، وحجرة المرضى، ومطبخ (لوحة رقم 10). أما السلم التعليمي في المدرسة، فيتضمن القسم التحضيري والثانوي والابتدائي. ويتبع القسم الابتدائي المنهج المصري ومدة القسم الثاني، أربع سنوات، وعلى هذا سنة إعدادية لامتحان أكسفورد. وللقسم التحضيري ثلاث سنوات (عثمان حمد الله، 1949، 105).

لوحة رقم (10)تبين كلية كمبوني بالخرطوم

بيوت السكة حديد

تعد سكة حديد السودان واحدة من أكبر السكك الحديدية في إفريقيا، إذ يبلغ طولها حوالي (5800)كيلو متر تقريباً، بدأ إنشاء الخطوط في عام 1897م في فترة العهد الإنجليزي المصري، علماً بأن فكرة إنشاء سكة حديد في السودان قد بدأت في العهد التركي المصري ولكنها فشلت. امتدت خطوط السكة حديد من منطقة حلفا إلى عطبرة، وإلى بورتسودان، وإلى الخرطوم بحري، ومدني وسنار، والدمازين، والأبيض وبابنوسة، ونيالا، وواو.

أما مباني السكة حديد فتنقسم إلى نوعين:

1/ المنازل: وهي عبارة عن منازل جميلة (تعطى للمهندسين).
2/ القطية. وهي نوعان:

قطية واحدة على شكل مخروط، (وهي خاصة بصغار العمال). وقطيتان متجاورتان ومعها حوش صغير ومنافع (وهي خاصة بكبار العمال) (لوحة رقم 11) (عماد الحلاوي، الانتباهة، 2013/2/1م).

لوحة رقم (11) تبين بيوت السكة حديد

خاتمة

- تزخر منطقة الخرطوم القديمة بعدد من المباني التاريخية ، والمرتبطة بها سياسياً واقتصادياً وعلمياً ودينياً، ، والتي كانت ومازالت تشكل أهمية كبيرة للمنطقة. ويمكن استخدامها بوصفها مزارات تاريخية وسياحية.

- تساعد المزارات في توحيد أبناء الوطن الواحد بطوائفهم الدينية المختلفة، وإحياء روح السلام.
- توفر المباني التاريخية موارد تعليمية لعلم التاريخ والآثار بالإضافة لهندسة العمارة ومساعدتهم في معرفة المواد والتقنيات التي جعلتها أكثر صمودا للظروف البيئية والتغيرات المناخية.
- تساعد المباني التاريخية على توفير فرص العمل ، بالإضافة إلى جذب السياح.
- تعد مدينة الخرطوم القديمة نموذجا للعمارة الإسلامية في السودان من حيث وجود المسجد وسط المدينة محاطا بالأحياء السكنية، والعمارة الجنائزية المتمثلة في المدافن والمرافق العامة كالسوق والمستشفى والبريد ومبنى المالية.
- يمثل القصر الجمهوري واحدا من المعالم السياسية البارزة في الدولة (مقر الحكم).
- تعد جامعة الخرطوم أعرق الجامعات السودانية والتي ظلت شاهداً على تطور التعليم في السودان. بالإضافة لوجود بعض المدارس.
- من خلال مباني السكة حديد يتضح لنا مدى الاهتمام بحركة النقل في السودان وربط العاصمة بمدن السودان المختلفة.

ومن بعد الدراسة أوصي بالتالي:

- أهمية توعية المواطنين بالمحافظة على المباني التاريخية فهي ليست مجرد مباني بل هي تاريخ وأمجاد.
- تخصيص ميزانية من الدولة لصيانة المزارات وترميمها.
- الاهتمام بالمزارات وحمايتها وترميمها وصيانتها من قِبل الهيئة العامة للآثار والمتاحف السودانية.
- يجب المحافظة على المباني التاريخية والتراثية وذلك لحماية التراث الثقافي، وتعزيز الهوية الوطنية.
- يتطلب ترميم المباني التاريخية والتراثية خبرات متخصصة للحفاظ على قيمتها التاريخية والمعمارية.
- تبني فكرة جعل المباني التاريخية مزارات لتساعد في استدامة المبنى والاستفادة منه اقتصادياً. علماً بأن جميع المناطق التاريخية تقع في قلب الخرطوم وتتميز بقربها من مناطق المواصلات العامة والخدمات.
- إحياء دور المزارات في تحقيق السلام الاجتماعي والمساهمة في حل النزاعات ذات الطابع العرقي، وتغذية الروح الوطنية والقبول بالآخر، والبعد عن الإقصاء، والتعبير الصادق عن الوحدة الوطنية، لأن المزارات تمثل مخزوناً وإرثاً ثقافياً، ينتمي إليه كل سوداني يحمل صفات الشخصية السودانية وملامحها وخصائصها.

المراجع والمصادر

أولا: الكتب

- أبو سليم، **تاريخ الخرطوم**، دار الجيل بيروت. ط2، 1979م.
- أحمد أحمد سيد أحمد، **تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري 1820-1885م**، الهيئة المصرية العامة للكتب، 2000م.
- أحمد التيجاني محمد وآخرون، **البريد والبرق في السودان عبر العصور**، السودان، 1439هـ.
- حيدر حامد مختار، خالد بابكر، **دراسة ميدانية لحالة الحفظ والمحافظة**، الهيئة القومية للآثار والمتاحف، 2003م.
- صادق حسين ، **ترميم المباني التاريخية / الحالة الدراسية مبنى وزارة المالية ومكتب البريد والبرق**، الخرطوم، 2016م.
- صلاح عمر الصادق، **الآثار الإسلامية في منطقة الخرطوم**، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة. 2014م.
- ضرار صالح ضرار، **تاريخ السودان الحديث**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1968م.
- عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، الجزء الأول، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر. (2013م).
- عثمان بن حمد لله بن الحاج علي ، **سهم العروبة**، مطبعة الشمس، ط1، الخرطوم. 1949م.
- مكي شبيكة، **السودان عبر القرون**، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- نعمات عمر-وآخرون، **توثيق الآثار المادية للثورة المهدية في أم درمان**، الإدارة العامة للبحث العلمي، 2014م.
- نعوم شقير، **تاريخ السودان**، تحقيق وتقديم أبو سليم، دار الجيل بيروت، 1981م.

ثانيا: الرسائل العلمية

- خوجلي أحمد صديق، **نظم الحكم في السودان 1820م-1885م** جامعة أم القرى، قسم الدراسات التاريخية والحضارية، مكة المكرمة، ماجستير إشراف إبراهيم نجيب محمد، 1987م.

- صفاء حسين محمد، **ترميم المباني التاريخية**، ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا. 2016م.

ثالثا: المجلات العلمية والصحف

- انتصار صغيرون الزين، الآثار العثمانية في السودان. **مجلة أدوماتو**، العدد الثامن يوليو، 2003م.
- جميلة الهادي الحنيش - رضا الصادق الرميح. إعادة استخدام المبنى التاريخي والأثري(ذو القيمة) كمدخل للحفاظ عليه. كلية الهندسة جامعة الزاوية، **المجلة الدولية للعلوم والتقنية**، SUDAN TRIBUNE(article242…<https://sudantribune.net) . 2017م

- سارة إبراهيم، ميدان أبو جنزير بالخرطوم. **الانتباهة** <http//www.sudacon.net 11 /2013/1م.
- عماد الحلاوي، قطاطي السكة حديد، مدن عملاقة ابتلعتها العمارات والأبراج، الانتباهة. <http//www.sudaress.com 2013/2/1م.
- محمد البدري سليمان، إدارة المصادر الآثارية وفق التطبيقات الحديثة والمعطيات الآثارية الجديدة (مدينة مروي القديمة أنموذجاً)، **مجلة القلزم العلمية**، العدد السادس عشر، (2022م)،

رابعا: المقابلات الشخصية

- د/ فيصل محمد موسى، 2022/7/21م.